مقتل السلطان تاج الدين

في عـام ١٩١٩ ، اقتحمت القـوات الفرنسية بقيادة المستعمر « موللي » حدود السودان الغربية قادمة من تشاد .. وخرجت قبيلة المساليت ، بقيادة السلطان تاج الدين، لمواجهة الزحف الاستعماري .. واوقعت بهم الهزيمة ، في ثلاث مواقع ، هـي كرنيـك ، وارجيل ، ودروتي ، بعد ان قتلت القائـد الفرنسي ، تمكنوا من اطلاق رصاص بنادقهم الغادرة ، على رأس السلطان تاج الدين ، عقب انتهاء المعركة .. وانقلب النصر الى هزيمة .

الفيتوري

فوق الافق الغربي سحاب احمـر
لم يمطر
والشمس هنالك مسجونه
تجتر أساها منذ سنين
والريح تدور كطاحونه
حول خيامك يا تاج الدين

**

يـا فارس ..
سرج جوادك ليس يلامس ظهر الارض
وحسامك مثل البيرق يخترق الظلمات
يـا فارس ..
مثل الصقر اذا ما انقض
بيتك عالي الشرفات
نارك لا تسود
وجارك موفور العرض
يـا فارس ..
حتى مـات ..

— ١ —

« كان السلطان يقود طلائعنا
نحو الكفار (*) .. وكان هنالك بحر الدين

ورمى تاج الدين بعينيه
في قلب السهل الممتد
اصغى حينا ، ثم تنهد :
الحرب الملعونه
يا ويل الحرب الملعونه
اكلت حتى الشوك المسود
لم تبق جدارا لم ينهد
.. ومضى السلطان يقول لنا ولبحر الدين :
ـ « هذا زمن الشدة يا اخواني
هذا زمن الاحزان
سيموت كثير منا
وستشهد هذي الوديان
حزنا لم تشهده من قبل ولا من بعد»
وارتاح بكلتا كفيه فوق الحربه
ورنا في استغراق نحو وجوه الفرسان

(*) كانت هذه الكلمة اللفظ الشائع لدى قبائل غرب السودان في ذلك الحين .

كان الجو ثقيلا مسقوفا بالرهبه
وبحار من عرق تجرى فوق الاذقان
وسيوفهم المسلولة تأكلها الرغبه
والخيل سنابكها تتوقد كالنيران
.. ومضى السلطان يقول لنا ولبحر الدين :
هذا زمن الشدة يا اخواني
فسيوف الفرسان المقبوضة بالايدي
تغدو حطبا ما لم نقبضها بالايمان
والسيف القاطع في كف الفارس
كالفارس .. يحلم بلقاء الفرسان
وترجل تاج الدين
جبل يترجل مزهوا من فوق جبل
وترجل بحر الدين
وحواليه عشرة الاف رجل
سجدوا فوق رمال «دروتي» لله معه
وارتعشت كل عيون الطير المندفعه
في هجرتها من اقصى الغرب لتـاج الدين

فعلى أفق الوادي القائم
تمتد رؤوس وعمائم
وبيارق يشبهن عمائم
.. ثم توارت أجنحة الطير
وراء السحب المرتفعه

— ٢ —

« يا تاج الدين ، الاعداء امامك فأرجع
لهب وقذائف حمر وخوذات تلمع
والحربة مهما طالت لن تهزم مدفع
لن تهزمهم يا تاج الدين
بسلاح كسلاحك مسكين »
وكعاصفة سوداء تلفت تاج الدين
في سخط الجبارين تلفت تاج الدين
وأطل على وجه القائل
كانت شفتاه رعودا وزلازل
كانت كلمات السلطان سلاسل :
ـ يا ويلك لو لم تك ضيفي يا عبدالله
ما أقبح ما حركت به شفتيك
ما أبشع ما منيت به عينيك
عـار ما قلت ..

وعار ان نستمع اليك
فاثن زمام جوادك
وخذ الدرب الآخر
يا بحر الدين اعده للدرب الآخر
.. وتدفقت الرايات
وغطى الافق صهيل الخيل
و «دروتى» العطشى مـا زالت تحلم
بمجيء السيل

**

وتحدر من خلف الوديان المحجوبه
علم يخفق ، ومدافع سبع منصوبه
وحرائق .. ووجوه شياطين
ها هم قدموا يا تاج الدين
فانشر دقات طبولك فوق الغاب
حاربهم بالظفر وبالناب
بالقوس الاخضر .. بالنشاب
طوبى للفارس، ان الحرب اليوم شرف
طوبى للفارس، ان الموت اليوم شرف
داسوا أرضك ..
عاثوا ملء بلادك غازين
هتكوا عرضك ..
غرباء الاوجه سفاحين
فاضرب، اضرب، يا تاج الدين
اضرب . اضرب . اضرب. اضرب

— ٣ —

يا مولاي السلطان ، سلام الله عليك
قتلى اعداؤك ، مطروحون لدى قدميك
أسرى مغلولون ، وخدام بين يديك
أكلت نيران مدافعهم نيرانك أنت
بالسيف ، وبالحربة، وبايمانك قاتلت
يا فارس تسحق اعداءك انى اقبلت
حين استبقوا نحوك
باسم بلادك ناديت
« لن يحجبني عن حبك شى »
« انك ملء دماي وعيني »
« يا ارض مساليت انا حي »
وهجمت فأجفل قائدهم
وانشق ستـار
كان ستار رصاص
كان ستارا من نار
نصبوه في وجهك صفين
كي لا ترى قائدهم بالعين
لكنك يا فارس اقدمت ..
فوق المدفع بالسيف مشيت
ولحقت بقائدهم فأنهار
القائد ذو الجبروت أنهار
ذو المركبة النارية والخوذات أنهار
أحنى رأسا ماتت في عينيه الرغبات
مد يديه يبكي في حشرجة الاموات
عرى صدرا أعشب ملء حناياه العار
هذا الصدر الفخم المنهار
قبل لقائك زانته نياشين الاكبار
لكنك يا فارس آليت
ان لا تهب الكافر صفحك
ان تسقي من دمه رمحك
ان تصلبهم ملء الفلوات
ان تجعل موتاهم مثلا
لزمان بعد زمانك آت

— ٤ —

تحت الراية غرقت رأس القائد في الدم
ارخى عينيه في رعب ثم استسلم
سلمت كفك يا تاج الدين
فاقض على احلام الباقين
صاروا بعد سقوط القائد قطعان غنم
طاردهم بجنودك عبر الفلوات
عبر شعاب « دروتى » عبر الاكمات
قتلاك من الاعداء مئات
والاسرى قد ملأوا الساحات
والقائد ملقى في الطرقات
سلمت كفك يا تاج الدين
لكن الشمس المسجونه
والريح الحبلى الملعونه
ما زالت مثل الطاحونة
تجري ، تجري حول خيامك
تجري من خلفك وامامك
يا تاج الدين
يا تاج الدين
ما زال عداتك مختبئين
ايديهم راعشة ، ورصاص بنادقهم
يتزاحم في بطء نحو جبينك
يا فارس خذ حذرك
من طعنات طعينك
يا فارس خذ حذرك
ليتك لا تتحرك
فبنادقهم لا زالت راكضة اثرك .
أترى تثقب راسك
أترك تثقب صدرك
يا فارس خذ حذرك
ليتك لا تتحرك
.. وتحرك تاج الدين
كانت عيناه حينئذ تقفان على جرحاه
والراية في يمناه قد لطخها الدم
وأتت ريح خريف
تتراكض اثر خطاه
وتجهم وجه «دروتي» بالسحب وأظلم
وأتت بضع رصاصات
خجلات مضطربات
أقبلن من الظلمات
فرأينا تاج الدين
يبدو وكأن قد مات
يا تاج الدين سلمت
مزق استار الصمت
عد من وديان الموت
.. وتساقط تاج الدين
لم يقو الفارس ان يرجـع لبكـاء الشعب عليه
فرصاصات خمس صدئات تسكـن في عينيه
لكن احدا لم ير رايته تسقط مـن كفيه

الخرطوم — **محمد الفيتوري**